

مشهد رأس الحسين (ع)

ويقع اليوم في داخل الجامع الأموي، ضمن العقار المرقم (١٥٦) والمروي أنه فيه دفن رأس الحسين عليه السلام على ما حكى عن ابن أبي الدينا أنه دفن بباب الفراديس، وعن تاريخ البلاذري والواقدي أنه بدمشق بدار الإمارة ولكن المروي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن مدفنه بكربلاء مع جسده الشريف أو بالنجف فوق رأس أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ويوجد بهذا المشهد الذي بدمشق مكان يقال أنه مكان وضع الرأس الشريف ويوجد أيضاً مصلّى زين العابدين عليه السلام (أما الذي بمصر) فإن العلويين المصريين استخرجوا رأساً من عسقلان زعموا أنه رأس الحسين (ع) ودفنوه بمصر وله مشهد مزور معظم إلى اليوم ويقال أنهم أخذوه من باب الفراديس فدفنوه بعسقلان ثم نقلوه من عسقلان إلى مصر.

والثابت أن رأس الحسين عليه السلام قد صلب بمدينة دمشق ثلاث أيام^(١)

وقال الشاعر يذكر كلام الرأس الشريف بدمشق:

وتلا آية من الذكر أخرى	فوق أعواد أيكة غناء
وتلا في دمشق لا حول إلا	قط بالله مرجع الأشياء
أدخلوه على يزيد فضاغت	منه ريح بأطيب الاشذاء
وتراءى كالصبر لحم بعير	حملوه عليه عند الغذاء
وكثير من المواطن فيها	سمعوا منه لهجة الفصحاء
لم يشابهه في التكلم إلا	رأس يحيى أمام أهل البغاء

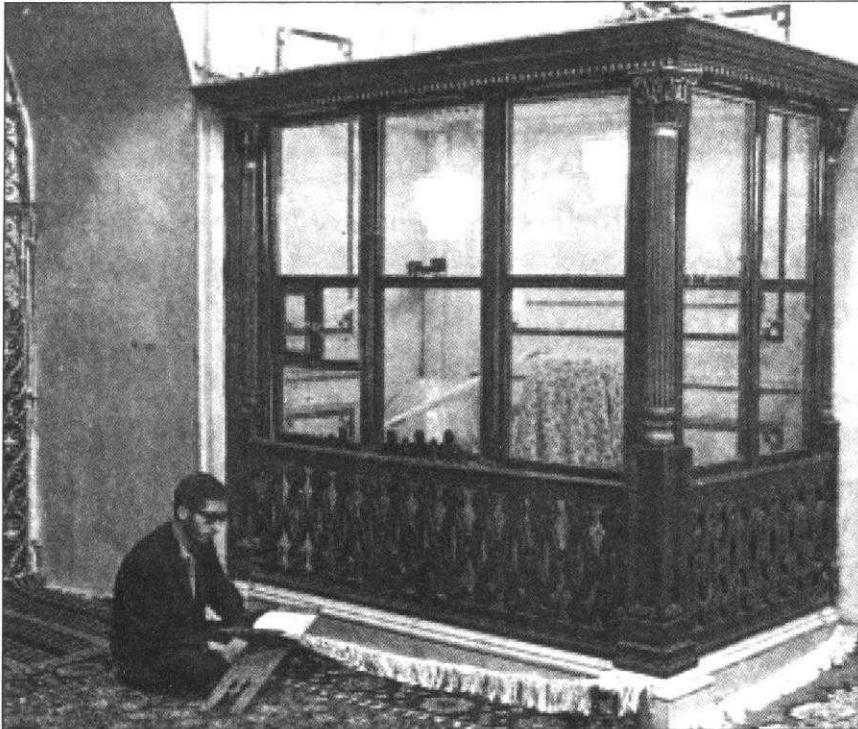
قال عثمان مدوخ في العدل الشاهد، عمّد بعض العلماء إلى مكان قديم قريب من باب الفراديس وشرع في هدمه ليجعله خزانة كتب فعثر على طاق في الجدار محكم السد بحجر كبير مكتوب عليه بالنقش ما فهموا منه أن هذا مشهد الإمام الحسين السبط، فرفعوا ذلك إلى والي الشام يومئذ فذهب ورأى ذلك بنفسه وأمرهم أن لا يحدثوا في هذا شيئاً ثم رفع إلى السلطان المرحوم عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان (تولى سنة ١٢٥٥ هـ وتوفي سنة ١٢٧٧ هـ)

فصدر أمره العالي يكشف هذا المكان بحضور جمهور من العلماء والأمراء ووجوه الناس فأحضروا إلى الشام ما أمر به السلطان وكشفوا هذا الحجر الذي عليه الكتابة فوجدوا فجوة خالية عن الدفن وبعد أن رآها الحاضرون أمر بسدها كما كانت ورفع ذلك إلى السلطان المذكور فصدر مرسومه العالي بأعمال طوق من الفضة حول الحجر هـ. هذا تاريخ العهد بظهور مشهد

(١) - راجع سير أعلام النبلاء ٢١٦/٣، مقتل الخواري ٧٥/٢، تاريخ ابن كثير ٢٠٤/٨، تاريخ ابن عساكر الحديث ٢٩٦، وخطط المقرئ ٢٨٩/٢، الاتحاف بحب الاشراف ٢٣. الاشارات لابن الحوراني / ٢٥.

الحسين بباب الفراديس وذكر الفرضي في (النبذة اللطيفة في مزارات دمشق الشريفة) عند كلامه على المزارات المشهورة بالصحابة بدمشق ونواحيها، والمشهور منهم بتربة باب الفراديس المسماة بمرج أبي الدحداح الآن (نسبة إلى صحابي ذكر فيمن دفن بدمشق من الصحابة وإليه نُسبت مقبرة أبي الدحداح شمال دمشق) مسجد سمي مسجد الرأس داخل باب الفراديس وفي أصل جدار محراب هذا المسجد داخل باب الفراديس وفي أصل جدار محراب هذا المسجد رأس الشهيد الملك الكامل محمود بن زنكي، على ما ذكر..

وغربي المحراب المذكور في الجدار مشهد الحسين، وقال: محمد عريبي الصيادي في (الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية) ص ١٧، وبالجامع الأموي من شرقيه مسجد عمر بن الخطاب ومسجد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، ونقل الحصني في تاريخ دمشق عن الشهاب المنيني ج ١ ص ٤٠٥: قال: وقد جدد محمد المرادي وراء تلك الطاقة التي هي مشهد الحسين شرقي جامع بني أمية ضريحاً لاحترام مكان الرأس الكريم قال: وعن يمين الخارج منه مكان يسمى بمسجد السادات. ثم عمره بعد ذلك الوزير فؤاد باشا في سنة ١٢٧٧ هـ. وجعل الدار المجاورة له تكية. وقد قامت طائفة البهرة الاسماعيلية بتجديده في سني التسعينيات من القرن العشرين. وبهذه المناسبة نذكر المشاهد الأخرى المنسوبة للرأس الشريف ومنها:



مشهد عسقلان

ذكرنا فيما نقدم حلول الرأس الكريم بهذه البلدة على يد (إفتكين الشرابي) وقد بني عليه، وما برج على ذلك حتى سنة ٤٦٠ هـ ١٠٦٨ م، فجدد بناءه وشيد عليه أمير الجيوش بدر الجمالي حين توليته أمانة دمشق للمرة الثانية من قبل المستنصر قبل أن يتولى الوزارة له بالقاهرة. ولم يتم هذا البناء فأتمه ابنه الأفضل شاهنشاه في شعبان سنة ٤٩٠ هـ ١٠٩٧ م، لما خرج لمحاربة الثائرين في القدس. ثم ما برح به الرأس الكريم إلى أن كان من أمره ما سيذكر بعد هذا، وقد زار هذا المشهد علي بن أبي بكر المشهور بالسائح الهروي دفين مدرسته بحلب المتوفي سنة ٦١١ هـ - قال في (الإشارات إلى أماكن الزيارات) عند كلامه على عسقلان وبها مشهد الحسين رضي الله عنه، كان رأسه بها فلما أخذتها الفرنج نقله المسلمون إلى مدينة القاهرة في سنة ٥٤٨ هـ.

وزاره ابن بطوطة، قال: في رحلته بعد ذكر القدس ثم سافرت إلى ثغر عسقلان وبه المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن علي عليهما السلام قبل أن ينقل إلى القاهرة وهو مسجد عظيم سامي العلو فيه جب للماء، وعسقلان بلدة على البحر قريبة من غزة هاشم من أعمال فلسطين.

قال ياقوت في المعجم مجلد ٦، ص ١٧٤ هي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين لم تزل عامرة حتى استولى عليها الافرنج في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ وبقيت في أيديهم خمسا وثلاثين سنة إلى أن استنقذها صلاح الدين منهم في سنة ٥٨٣ - قال وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وافتتحها أولاً معاوية في خلافة عمر ١ هـ. ملخصاً.

مشهد حلب

قال ابن زهرة الحسيني في (غاية الاختصار في اخبار البيوت العلوية المحفوظة من الغبار) ص ٥٨ في الكلام على ذيول اسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق بعد أن ترجم لحفيده الشريف حمزة المدفون بحلب قبره بحلب بسفح جبل جوشن عند مشهد الحسين ١ هـ. وذكر بعض الأخباريين أن للحسين مشهداً بمدينة مرو، لكن أشهر المشاهد اليوم هو مشهد القاهرة.

مشهد القاهرة

وقد بدأ ظهوره في جمادى الثانية سنة ٥٤٨ هـ أغسطس ١١٥٣ م في خلافة الفائز الفاطمي. ووزارة الصالح طلائع بن رزيك (والقبة) الموجودة الآن من بقايا القصر الكبير الشرقي كانت تسمى بقبة الديلم أحد أبوابه (والديلم طائفة من الجند) و- طلائع المذكور- توفي يومى الاثنين ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ (١٣ سبتمبر سنة ١١٦١) ويذكر من أمره أنه بعد قدوم الرأس الكريم إلى القاهرة أراد أن يبني مسجداً لدفنه فلم يتهيا له ذلك لما تقدمت الإشارة إليه. فلما دفن الرأس الكريم بالقصر أمر ببناء المسجد لأقامة الصلاة والشعائر الدينية فأكمل بناءه في سنة ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م.

ويتبين من هذا أن الرأس لم يوضع فيه أصلاً كما توهم بعض المؤرخين بل عند وصوله وضع في القصر مباشرة وذلك بعد مكثه بستان كافور الأخشيد فترة من الزمن من نفس اليوم: والبستان المذكور كان في المنطقة التي عرفت قديماً ببستان الكافوري التي تتبدئ الآن من شارع الشعرائي الجواني إلى المدرسة الباسطية وبيت البكري: ويقال أن المكان الذي وضع في الرأس الكريم محله الآن زاوية أبي يوسف الطيب خليفة المقام الأحمدي الباقية إلى اليوم وفي أول دولة صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس دولة الأكراد الأيوبية أجرى أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكري (المعروف بالزرزور) في هذا المشهد عمارة وجعل له مسجداً يتصل به، وباشر ذلك ولده، ومن آثار هذه العمارة الباقية إلى هذا التاريخ المنارة الصغيرة القائمة فوق الباب الأخضر (باب الديلم) ولما وزر لصلاح الدين المذكور القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني العسقلاني المتوفي سنة ٥٩٦ هـ. بني ميسأة وساقية بمؤخر المسجد المذكور وحبس عليهما وعلى المسجد أراضي كانت له بقرية (منية الأصبغ) التي عرفت في زمن الفاطميين بالخذق، للحكاية المعروفة، وهي الآن عزية الدمرداش وقرية مسروح بن سندر الصحابي وملحقاتهما (تم) تجدد بعد ذلك في عهد الملك الظاهر بيبرس والناصر محمد ابن قلاوون والبناء الحالي من آثار المرحوم الخديوي اسماعيل.

الأثار النبوية المحفوظة بالمسجد الحسيني:

لهذه الأثار الشريفة أخبار تتسلسل في التواريخ وتنتقل بالباحث من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان حتى تصل به إلى مستقرها المحفوظة به الآن، وأول ما عرف عنها أنها كانت عند بني ابراهيم بينبع واستفاض أنها بقيت مورثة عندهم من الواحد إلى الواحد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم اشتراها في القرن الرابع أحد بني حنا بكسر الحاء المهملة وفتح النون المشددة - أحد الوزراء الأمثال المتوفي سنة ٧٠٧ هـ.

ونقلها إلى مصر وبني لها رباطاً على النيل عرف برباط الآثار وهو المعروف الآن بجامع أثر النبي، وقد ذكر هذا الرباط المقريري في خطه ج ٤ وابن دقماق في الانتصار وابن كثير في البداية والنهاية والقلقشندي في صبح الأعشى وابن أياس في تاريخه والحلي في نور النبراس وأحمد المقرري صاحب نفع الطيب كما ذكر في فتح المتعال المطبوع بالهند وابن بطوطة في الرحلة في آخرين.

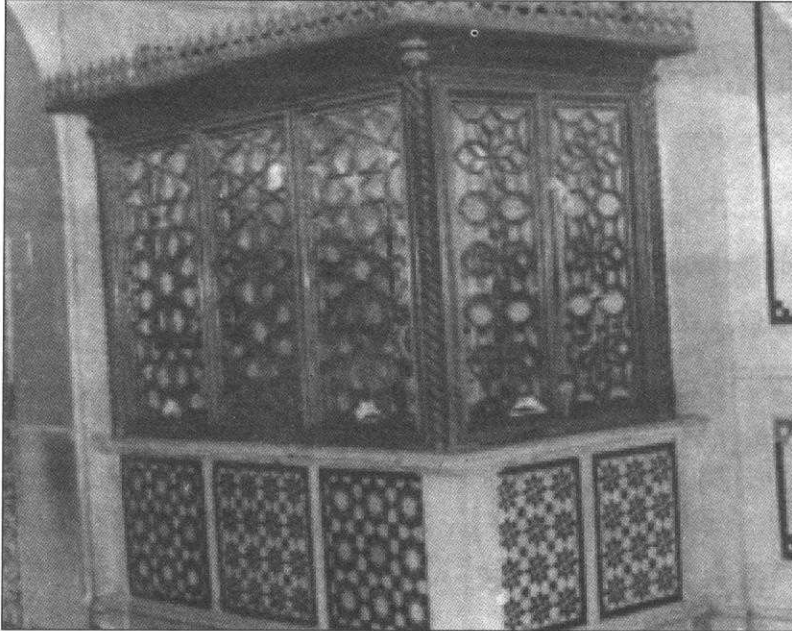
رباط الآثار

قال.. المقريري ناقلاً عن ابن المتوج، هذا الرباط عمره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر محمد ولد الصاحب بهاء الدين علي ابن حنا ومات قبل تكملته ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق - قال - ولما كانت أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون قرر فيه درساً للفقهاء الشافعية - وفي أيام الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط -

ولم يزل هذا الرباط عامراً حتى تبدلت الدول فنقلت منه الآثار الشريفة وتغيرت معالمه بتجديد بنائه زمن ابراهيم باشا الدفتر دار المتولى على مصر سنة ١٠٧١، وعمره بعد ذلك في سنة ١٢٢٤هـ الخواجه محمود حسن بزرجان باشا على وضعه القديم وعمر بجواره قصراً بقي منه الآن بعض أطلال ماثلة - وأما المسجد فالراجح أنه على هذا البناء المذكور الباقي إلى اليوم.

نقل الآثار الشريفة إلى قبة الغوري

تولى السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري على المملكة المصرية سنة ٩٠٦ وقاتل بمرج دابق شمالي حلب في قتال مع السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٢ وهو الذي بنى المدرسة المعروفة الآن بجامع الغوري عن يمين المار بشارع الغوري إلى باب زويلة وبنى أمامها عن يسار المار القبة المنسوبة إليه ليدفن بها فلم يقدر له ذلك وفقدت جثته تحت سنايك الخيل، فدفن في الحظيرة المكشوفة لهذه القبة قريبة السلطان الأشرف طومان باي آخر ملوك الجراكسة بمصر الذي تولى بعده وقتله السلطان سليم سنة ٩٢٣ ودفن بها أيضاً على مافي ابن اياس - خوندخان تكن مستولدة السلطان الغوري المتوفاة سنة ٩٢٢ مع أولادها، ونقل على مبارك باشا في خططه عن ابن الطولوني أن السلطان الغوري بنى هذه القبة للآثار النبوية وللمصحف العثماني الذي أضافه إليها. والمصحف المذكور منسوب لذي النور بن عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو الذي كان بمدرسة القاضي الفاضل التي كانت بدرب ملوخية المعروف الآن بدرب القزازين وقد زالت هذه المدرسة

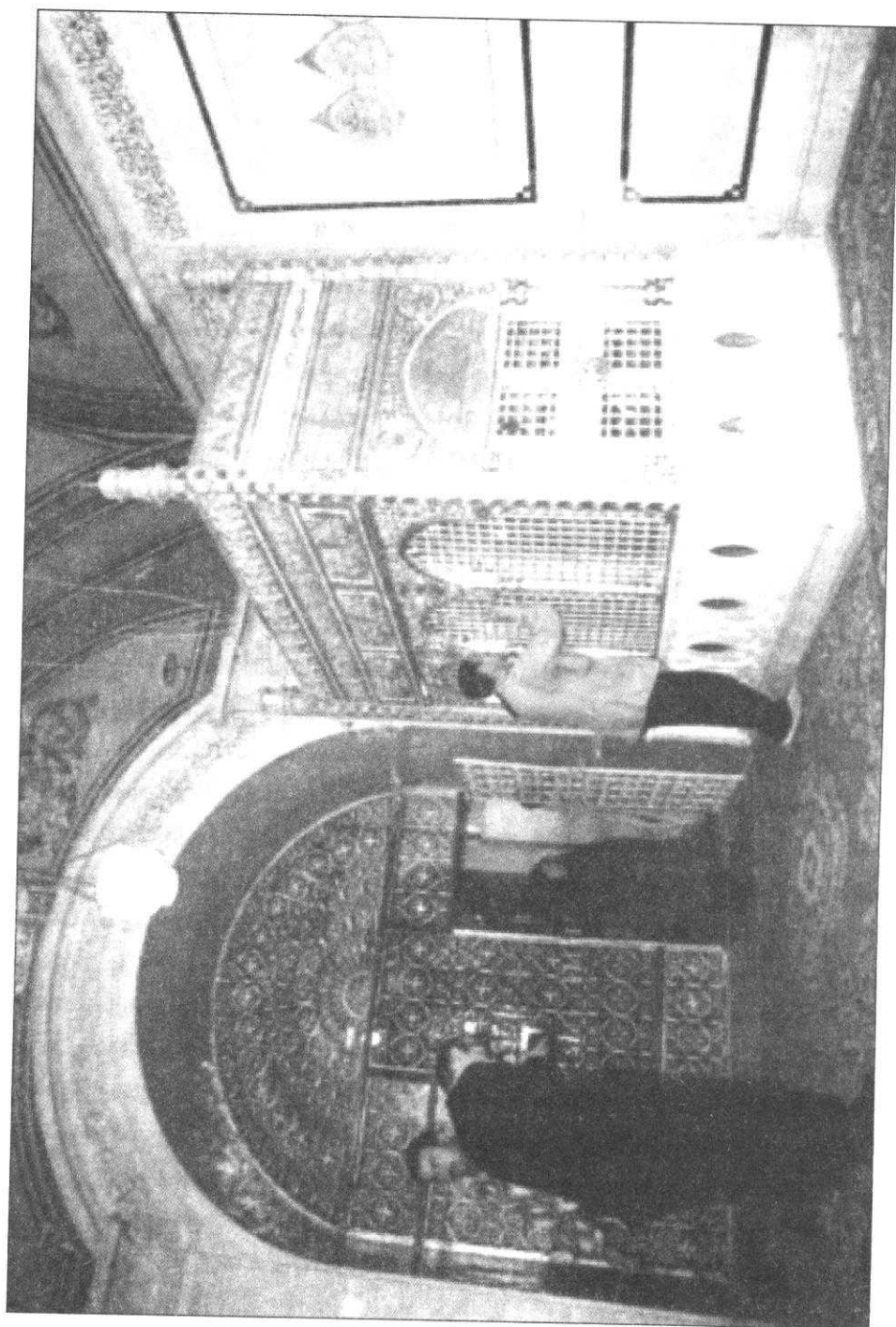


وعفا أثرها وكانت بها خزانة كتب عديمة النظير تفرق غالبها ولم يبق منها غير المصحف المكتوب بالخط الأول الكوفي - ويقال إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وما برحت هذه الآثار بهذه القبة من هذا التاريخ إلى سنة ١٢٧٥ فنقلت منه إلى المسجد الزينبي ثم نقلت بموكب حافل إلى خزانة الأمتعة بالقلعة ثم نقلت منها سنة ١٣٠٤ إلى ديوان الأوقاف - وفي سنة ١٣٠٥ نقلت إلى قصر عابدين ومنه نقلت في السنة المذكورة إلى المسجد الحسيني.

وممن ذكر هذا المشهد الشريف الرحالة الشهير جبير المتوفي ٦١٤ هـ اذ قال في رحلته: «و في تابوت فضة مدفون تحت الأرض قد بني عليه بنيان حفيظ يقصر الوصف عنه ولا يحيط الادراك به، مجلل بأنواع الديباج، محفوف بأمثال العمدة الكبار شمعاً أبيض ومنه ما هو دون ذلك، قد وضع أكثرها في أنوار فضة خالصة ومنها مذهبة، وعلقت عليه قناديل فضة، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهباً في مصنع شبيه الروضة، يقيد الأبصار حسناً وجمالاً، فيه من أنواع الرخام المجزء الغريب الصنعة البديع الترسيع مالا يتخيله المتخيلون، ولا يحق أدنى وصفه الواصفون، والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها في التأنق والغرابة، حيطانه كلها رخام على الصفة المذكورة، وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها بنيان من كليهما المدخل إليها وهما أيضاً على تلك الصفة بعينها، الاستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع، ومن أعجب ما شاهدناه في دخولنا إلى هذا المسجد المبارك حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل، شديد السواد والبصيص، يصف الأشخاص كلها كأنه المرأة الهندية الحديثة الصقل، وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وإحداقهم به وانكبابهم عليه وتمسحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة التربة المقدسة، ومتضرعين بما يذيب الأكباد، ويصدع الجماد، والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول نفعنا الله ببركة ذلك المشهد الكريم، وإنما وقع الإلماح بنبذة من صفته مستدلاً على ما وراء ذلك، إذ لا ينبغي لعاقل أن يتصدى لوصفه لأنه يقف موقف التقصير والعجز، وبالجمله فما أظن في الوجود كله مصنعاً أحفل منه ولا مرأى من البناء أعجب ولا أبدع، قدس الله العضو الكريم الذي فيه بمنه وكرمه.

وفي ليلة اليوم المذكور بتنا بالجبانة المعروفة بالقرافة وهي أيضاً إحدى عجائب الدنيا لما تحتوي عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وأهل البيت والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين والعلماء والزهاد والأولياء ذوي الكرامات الشهيرة والأنبياء الغريبة، وإنما ذكرنا منها ما أمكنتنا مشاهدته. فمنها: قبر ابن النبي صالح، وقبر روبيل بن يعقوب بن إسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صوات الله عليهم أجمعين، وقبر آسيا امرأة فرعون رضي الله عنها، ومشاهد أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين مشاهد أربعة عشر من الرجال وخمس من النساء، وعلى كل واحد منها بناء حفيظ، فهي بأسرها روضات بديعة الإتقان عجيبه البنيان، قد وكل بها قوم يسكنون



مشهد رأس الحسين - الجامع الأموي

فيها و يحفظونها، ومنظرها منظر عجيب، والجرايات متصلة لقوامها في كل شهر، ثم ذكر تفصيل المشاهد.

وعقد الشبراوي الشيخ عبد الله الشافعي المتوفي ١١٧٢ في كتابه -الإتحاف بحب الأشراف- ص ٢٥- ٤٠ باباً في ذلك المشهد وذكر فيه زيارته وشطراً من الكرامات له وإحياء يوم الثلاثاء بزيارته وقال: والبركات في هذا المشهد مشاهدة مرئية، والنفحات العائدة على زائريه غير خفية، وهي بصحة الدعوى ملية، والأعمال بالنية، ولأبي الخطاب بن دحية في ذلك جزء لطيف مؤلف، واستفتى القاضي زكي الدين عبد العظيم في ذلك فقال: هذا مكان شريف وبركته ظاهرة والإعتقاد فيه خير السلام، وما أجدر هذا المشهد الشريف والضريح الأنور المنيف بقول القائل:

نفسى الفداء لمشهد أسرارهِ	من دونها ستر النبوة مسبل
ورواق عز فيه أشرف بقعة	ظلت تحار لها العقول وتذهل
تغضى لبهجته النواظر هيبه	ويرد عنه طرفه المتأمل
حسدت مكانته النجوم فود لو	أمسى يجاوره السماك الأعزل
وسما علواً أن تقبل تربهِ	شفة فأضحى بالجباه يقبل

وقال في ذكر الكرامات: منها أن رجلاً يقال له: شمس الدين القعويني كان ساكناً بالقرب من المشهد وكان معلم الكسوة الشريفة حصل له ضرر في عينيه فكف بصره وكان كل يوم إذا صلى الصبح في مشهد الإمام الحسين يقف على باب الضريح الشريف ويقول: ياسيدي أنا جارك قد كف بصري وأطلب من الله بواسطتك أن يرد عليّ ولوعيناً واحدة، فبينما هو نائم ذات ليلة إذ رأى جماعة أتوا إلى المشهد الشريف فسأل عنهم فقبل له هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة معه جاؤا لزيارة السيد الحسين رضي الله عنه فدخل معهم ثم قال ما كان يقوله في اليقظة، فالتفت الحسين إلى جده صلى الله عليه وآله وسلم وذكر له ذلك على سبيل الشفاعة عنده في الرجل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي رضي الله عنه: يا علي كحلّه. فقال: سمعاً وطاعة وأبرز من يده مكحلة ومروداً وقال له: تقدم حتى اكحلّك فتقدم فلوث المروود ووضعه في عينه اليمنى فأحس بحرقان عظيم فصرخ صرخة عظيمة فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه ففتحت عينه اليمنى فصار ينظر بها إلى أن مات، وهذا الذي كان يطلبه فاصطنع هذه البسط التي تفرش في مشهد الإمام الحسين رضي الله عنه وكتب عليها وقفاً ولم تنزل تفرش حتى تولى مصر الوزير المعظم محمد باشا الشريف من طرف حضرة مولانا السلطان محمد خان نصره الله فجدد بسطاً أخرى وهي التي تفرش إلى الآن. ثم ذكر كرامة أخرى وقعت للشيخ أبي الفضل نقيب السادة الخلوتية، وقال بعد بيان اختصاص يوم الثلاثاء بزيارة ذلك المشهد: ثم ذكر عدة قصائد في مدح آل البيت الشريف ومن ذلك قصيدته التي مطلعها:

آل طه! ومن يقل آل طه مستجيراً بجاهكم لا يرد